

كوبا بالأرقام^١

متوسط العمر المأمول (لكلا الجنسين، ٢٠٠٦): ٧٨ عاماً
حصة الفرد من الناتج القومي الإجمالي (تعادلية القوة الشرائية بالدولار الدولي، ٢٠٠٦): غير متوافرة.
إجمالي الإنفاق على صحة الفرد (تعادلية القوة الشرائية بالدولار الدولي، ٢٠٠٥): ٣٣٣
عدد الأطباء (لكل ١٠ ٠٠٠ ساكن، ٢٠٠٥): ٥٩

كوبا تواصل دفع عجلة الرعاية الصحية الأولية إلى الأمام^٢

- حققت كوبا أحد أعلى متوسطات العمر المأمول في العالم بين الأمم النامية
- توفر العيادات والمستوصفات طائفة واسعة من خدمات الرعاية لا تقتصر على الخدمات الأساسية
- يسدّ البرنامج الصحي الوطني احتياجات ما يزيد على ٩٥٪ من السكان
- تعمل كوبا على الموازنة بين الخدمات الصحية وبين الاحتياجات المجتمعية

تقول الدكتورة ربيكا مندوثا، مديرة إحدى العيادات المتعددة التخصصات في هافانا، كوبا "عندما يأتي اليوم الذي نظن فيه أن كل شيء على ما يرام فاعلم أنه اليوم الذي تخطينا فيه عن مرضانا".

وتعد العيادات المتعددة التخصصات في إطار المجتمع المحلي المحور الذي يدور حوله نظام الرعاية الصحية الأولية في كوبا، وهو، حسب كثير من المعايير، أحد أكثر النظم فعالية في العالم وهو مسؤول، إلى حد كبير، عن المؤشرات الصحية المثيرة للإعجاب لكوبا وهي مؤشرات تقترب أو تعادل المؤشرات في بعض البلدان المتقدمة. وتوفر لكل عيادة متعددة التخصصات الخدمات الصحية في منطقة جغرافية محددة تخدم حوالي ٣٠ ٠٠٠ إلى ٢٥ ٠٠٠ نسمة.

ومن الأمثلة في هذا الصدد أنه سُجلت، في عام ٢٠٠٤، سبع وفيات لكل ١٠٠٠ طفل دون الخامسة من العمر وذلك يعني انخفاضاً بالمقارنة مع العدد المسجل قبل ٤٠ عاماً وقدره ٤٦ وفاة. وفي الأثناء يُعدّ وسطي متوسط العمر المأمول وقدره ٧٨ عاماً أحد أعلى متوسطات العمر المأمول بين الأمم النامية.

أسلوب العيادة المتعددة التخصصات

أنشئت العيادات المتعددة التخصصات في جميع أنحاء كوبا في السبعينات من القرن الماضي. واستبقت كوبا بذلك ببعض السنوات إعلان ألما - آتا الذي أصدرته منظمة الصحة العالمية في عام ١٩٧٨ والذي كان محطة بارزة بدعوته إلى "توفير الصحة للجميع" عن طريق استفادة جميع الناس على قدم المساواة من الخدمات الصحية أي عن طريق أسلوب الرعاية الصحية الأولية.

1 World Health Statistics 2008, Online version: <http://www.who.int/whosis/data/Search.jsp> (accessed on 24/09/2008)

2 Cuba's primary health care revolution: 30 years on, **WHO Bulletin, Vol 86: 5**, <http://www.who.int/bulletin/volumes/86/5/08-030508/en/index.html>
Home page: <http://www.who.int/bulletin/en/>

وبحلول التسعينات من القرن الماضي نشر البرنامج أطباء الأسرة والعاملين في مجال التمريض في جميع ربوع البلد وكان يلبي احتياجات أكثر من ٩٥٪ من سكانه.

"وتقول الدكتورة كريستينا لونا مديرة الخدمات الوطنية للرعاية في إطار العيادات الخارجية بكوبا "لقد كافحنا من أجل إعلان ألما - أتا قبل أن يصبح ذلك الإعلان سياسة رسمية" وقد كانت الرسالة التي انطوى عليها بمثابة نبراس يهدينا وتحد علينا أن نواجهه منذ ذلك الحين".

وفي عام ٢٠٠٨ بدأ نظام الرعاية الصحية الأولية في كوبا يخضع لتعديلات منها إضافة خدمات لم تكن متوافرة فيما سبق إلا في المستشفيات ومنها التأهيل، والأشعة السينية والموجات الفائقة الصوت، والتنظير الداخلي وتنظيم الأسرة، وطب الأسنان في حالات الطوارئ ورعاية المصابين بالسكري ورعاية المسنين.

وتقول لونا "أما اليوم فإننا لا نواجه فقط التحدي المتمثل في توفير الرعاية الشاملة على جميع الأصعدة بل نواجه أيضاً تحدي توفير رعاية ذات جودة أفضل وخدمات أفضل تنظيمياً وتكاملاً. ذلك أن الناس يتوقعون منا الآن أن نقدم لهم المزيد".

تلبية احتياجات محددة

جاء المزيد من التغيير نتيجة لوضع حد لوجود نوع من العيادات المتعددة التخصصات المتماثلة إلى حد ما والتي نشأت في جميع أنحاء البلد. أما اليوم فإن الخدمات إنما هي صورة مطابقة للصورة الصحية المحددة للمجتمع الذي تتم خدمته وهي مبدأ آخر أساسي من مبادئ الرعاية الصحية الأولية.

تقول لونا "إذا كان عندنا الكثير من المدخنين فإنه ينبغي لنا أن نخصص عدداً من الليالي كل أسبوع للتوعية وليس ليلة واحدة فقط. وإذا كان هناك الكثير من حالات الحساسية في المنطقة فإن العيادة المتعددة التخصصات ينبغي، عندها، أن تمتلك خدمات لاختبار الحساسية وهلم جرا".

كما بدأت تتغير الأدوار التي تضطلع بها العيادة المتعددة التخصصات ومكاتب أطباء الأسر والعاملين في مجال التمريض. ويتوقع من العيادات المتعددة التخصصات، منذ عام ٢٠٠٧، أن تضطلع بدور رئيسي في بناء القدرات وضبط الجودة بين كل المؤسسات ذات الصلة بالصحة في إطار المجتمعات المحلية التي تخدمها.

ما الذي بقي للتصدي له؟ تجيب مندوثا على ذلك قائلة: "علينا أن نغير المزيد من الاهتمام لمسألة رضا المرضى على ما يقدم من خدمات. وبعض العاملين لا يحبون أن يسمعوأ أي انتقاد".

نص مقتبس بإيجاز من مقالة وردت في نشرة منظمة الصحة العالمية في أيار/ مايو ٢٠٠٨.